

أتت الإجازة فماذا أنتم فاعلون؟

الحمد لله ذي الفضل والاحسان. والعطاء والامتنان. أحمده سبحانه وأشكره على كل حال وفي كل زمان. وأصلي وأسلم على نبينا محمد أمام الأتقياء، وعلى آله وأصحابه أئمة الهدى ومصابيح الدجى والتابعين، ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد، فإننا نستقبل في هذه الأيام الإجازة الصيفية، وذلك بعد إ قضاء عام دراسي كامل في الجد والمذاكرة والبذل والتحصيل على تفاوت في الهمم وتباين في العزائم، والسؤال الذي يطرح نفسه في هذه الأيام هو: ما الذي ينبغي على طالب العلم الحريص والمسلم الجاد أن يفعله في هذه الإجازة المقبلة؟ وعدد أيامها مائة يوم تقريباً، وهو وقت طويل وأيام عديدة، ولحظات عزيزة ستمر وتذهب سريعاً، أيناسب أو يليق بالمسلم أن يتركها تذهب وتضيع دون أن يفغتها في الخير، ودون أن يتزود فيها بزيادة التقوى؟ وهل أيام الإجازة ليست معدودة في حياة الإنسان وعمره، فبتركها تذهب وتنتصرف بدون تحصيل لفائدة أو اغتنام لها في طاعة أو خير؟ وهل أيام الإجازة ليست أيام طلب للعلم وتحصيل للإيمان وتزود بالتقى والصلاح؟

اعداد الشيخ/ عبده أحمد الأقرع

وان الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكل منهما بنون. فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل. وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: ان الدنيا ليست بدار قراركم، كتب الله عليها الفناء، وكتب على أهلها الضلعن (أي: الارتحال). فكم من عامر موثق، عن قليل يخرب، وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظلعن، فأحسنوا منها الرحلة بأحسن ما بحضرتكم من

مائة يوم من حياتنا ستمر، وأوقات غالية ستذهب فما نحن صانعون فيها؟ إن وقت الإنسان هو عمره في الحقيقة، وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم أو العذاب الأليم. وهو يمر مر السحاب ينبغي للمؤمن أن يتخذ من مرور الليالي والأيام عبرة وعظة.

قال الله تعالى: **«وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا»** (الزمر: ٦٢). فإن الليل والنهار يلبيان كل جديد ويفضريان كل بعيد، ويظويان الأعمال، ويشبان الصغار، ويفضيان الكبار، قال علي رضي الله عنه: إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة،

لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ٧ أُولَئِكَ مَاؤُهُم النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (يونس: ٧-٨).

من الغفلة والحرمان، أن يالفت شباب أصحاب النوم حتى الضحى، أو ما بعد الضحى، تطلع عليهم الشمس وتتوسط كبد السماء، وهم يغطون في نوم عميق، قد بال الشيطان في آذانهم، إذا قام أحدهم فإذا هو ثقيل الخصى، خبيث النفس، هزيل القوى كسلان.

نقل عن بعض السلف إنه كان يسمي الصلوات الخمس ميزان اليوم، والجمعة ميزان الأسبوع، ورمضان ميزان العام، والحج ميزان العمر، كل ذلك محاسبة دقيقة، ليسلم له يومه وأسبوعه وعامه وعمره.

ولقد تكاثرت النصوص عن النبي صلى الله عليه وسلم في بيان أهمية الوقت والحث على اغتنامه وعدم إضاعته، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك». رواه الحاكم (٣٠٦/٤)، وهو في صحيح الجامع (١٠٧٧).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ». صحيح سنن الترمذي (١٩٦٩).

فالموفق من عرف كيف يتدارك فراغه وصحته ويضعها في الموضوع الذي يحقق له السعادة الأبدية، ولقد كان الرعيل الأول يبادرون اللحظة من الزمن؛ يقول أحد الزهاد: «ما علمت أن أحدا سمع بالجنة والنار، ثم تأتي عليه ساعة لا يطيع الله فيها بذكر، أو صلاة، أو قراءة، أو إحسان».

وكانت امرأة أبي محمد حبيب الفارسي توظفه بالليل وتقول: «قم فإن الطريق بعيد، وزادنا قليل، وقوافل الصالحين قد سارت من بين أيدينا ونحن بقينا».

وقرأ ابن حجر -رحمه الله- معجم الطبراني الصغير في جلسة بين الظهر والعصر، وكان أبو العلاء الحسن بن أحمد يكتب وهو قائم على قدميه في المسجد لعلو السراج.

النقلة، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى». فالوقت زمن تحصيل الأعمال والأرباح، بل هو الحياة كلها، وقد أقسم الله بأجزائه، بالليل والنهار والفجر والضحى والعصر والشفق، لما فيها من العبر والآيات والأعاجيب، والعمر لا يقوم نفاسة وغلاء إلا به، وقد أنب الله الكفار إذ أضاعوا أعمارهم من غير إيمان، فقال جل وعلا: **«أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير»** (فاطر: ٣٧).

ولعظم أهمية الوقت كان مما أفرد بالمساءلة عند العرض يقول صلى الله عليه وسلم: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع، عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه». صحيح الترمذي (٢٤١٧).

وفي حديث الإجازة يجب أن يتربى الشباب، ويعرفوا أن الوقت جزء من الإصلاح، جزء من الحل لمشكلاتهم المستعصية، طال هذا الوقت أو قصر، ما دام أنهم ثابتون على الحق، صابرون فيه، مستمسكون به، ليعلم شباب الإسلام، وطلاب العلم أن من أكبر علامات المقت إضاعة الوقت، ليس الوقت من ذهب كما يقول المثل الشائع، بل هو أغلى من الذهب واللؤلؤ، ومن كل جوهر نفيس، أو حجر كريم، إنه الحياة والعمر، والإنسان يفتردي عمره بكل غال ونفيس، حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه: «ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه، نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي»؛ نعوذ بالله من تناقص الأجل من غير زيادة في صالح العمل.

أيها الشباب: من أمضى يوماً من عمره في غير حق قضاه، أو فرض أذاه، أو مجد أصله، أو فعل محمود حصله، أو علم اقتبسَه فقد عرق يومه، وظلم نفسه، وخان عمره.

ومن المؤسف حقاً أن يعيش شباب في عمر الزهور وإكمال القوى لا يبالون في إضاعة أوقاتهم سدى، بل إنهم يسطون على أوقات الآخرين، ليقطعوها بالهلو الباطل، فهم في غفلة من الغد واستغراق مميت في الحاضر، مسحرون بنصرة الشباب المعارضة، وتقطيع الأيام والليالي من غير حساب، ولا محاسبة: قال الله تعالى: **«إن الدين لا يزجرون**

وها هو ابن الجوزي رحمه الله يقول لولده: «أي بني: من قال سبحان الله العظيم ويحمده، غرست له بها نخلة في الجنة» (صحيح الجامع ٦٤٢٩)؛ فانظر إلى مُضَيِّع الساعات كم ضَيِّع من نخلات!

وأثر عن بعضهم أنه كان إذا قيل له: قف أكلمك، قال: أمسك الشمس، وكان بعضهم إذا دخل عليه زواره أكرمهم وأحسن ضيافتهم، فإذا طال بقاؤهم قال: ألا تنصرفون؟ ومما يؤثر عن السلف قولهم: من علامة المقت إضاعة الوقت. بل قال ابن القيم رحمه الله: إضاعة الوقت أشد من الموت؛ لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها ولا يحفظ الوقت تمام الحفظ إلا التنظيم وحسن الترتيب، فلا يطغى غير المهم على المهم، ولا المهم على الأهم، فمعلوم أن الوقت لا يتسع لجميع الأشغال، ومن شغل نفسه بغير المهم، ضيَّع المهم وفوت الأهم.

ونجد المعتنين بالتربية والآداب يوصون بتحديد الأهداف في كل عمل يقوم به الإنسان، وفي كل سبيل يسلكه، ليكون ذلك أدعى لتحقيق أهدافه، وأسلم من التشتت والارتباك، وأضبط له في مساره وعمله، وما من شك أن من يسير وفق أهداف محددة ومقاصد معينة أكمل وأضبط وأسلم ممن يسير دون تحديد أهداف ودون تعيين مقاصد.

ومن وصايا أبي بكر لخليفته عمر رضي الله عنهما: «اعلم أن لله عملاً بالنهار لا يقبله

بالليل، وعملاً بالليل لا يقبله بالنهار». فيا أيها الطالب الكريم: في هذه الإجازة، اغتنم حياتك النفيسة، واحتفظ بأوقاتك العزيزة، فحياتك محدودة، وأنفاسك معدودة، والعمر قصير، وما تبقى منه يسير.

وإذا ضمن الغد فمن يضمن السلامة من المعوقات، ومن مرض طارئ، أو شغل عارض، أو بلاء نازل، أو فتنة جائحة.

قيل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله وقد بدا عليه الإرهاق: أخرج هذا إلى الغد، فقال: لقد أعياني عمل يوم واحد، فكيف إذا اجتمع عمل يومين؟

ولا تظنوا أيها الشباب أن المستقبل سيكون أكثر فراغاً من الحاضر، فما هذا إلا وهم وسراب، فبادروا ساعاتكم، ولا تتعلقوا بالغائب المجهول، فكل ظرف مملوء بشواغله، والحقوق مرتبطة بزمانها. وما التسوييف إلا تقويت للحق، وخسران لليوم، وتضييع للغد، قال قتادة في قوله تعالى:

«حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ» (المؤمنون: ٩٩). قال: كان العلاء بن زياد يقول: لينزلن أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت فاستقال ربه فأقاله، فليعمل بطاعة الله تعالى. وقال قتادة: والله ما تمنى إلا أن يرجع فيعمل بطاعة الله.

أما أن للنائم أن يستيقظ من نومه؟! أما حان للغافل أن ينتبه من غفلته؟!

نسأل الله أن يصلح فساد قلوبنا، وأن يوفقنا برضاه عنا.

إنا لله وإنا إليه راجعون

إنه في يوم الثلاثاء ٩ ذو الحجة ١٤٤٧ الموافق ٢٦/٥/٢٠٢٦هـ توفي اثنان من أبنائنا في فروع الجمعية: الشيخ أحمد عبد العظيم رئيس فرع الجمعية بالصف محافظة الجيزة، والشيخ المهندس عبد العليم سعد جاد شاهين رئيس فرع الجمعية ببلقاس محافظة الدقهلية، والمركز العام إذ يحتسب هذين الأخين عنده في الصالحين؛ يسأل الله تعالى أن يرحمهما رحمة واسعة، وأن ينزل على قلوب أهليهم ومحبيهم السكينة والرضا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الرئيس العام

